

Aga Khan University

From the Selected Works of Walid Ghali

2006

الكوڊي كولوجي ال عربي ءم ف هرسة
ال مخطوطات علاقة كالم لية ءم ندية؟

Walid Ghali

الكوديكولوجيا العربية أم فهرسة المخطوطات
علاقة تكاملية أم ندية؟

اعداد
وليد غالي نصر
مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة
2006

على سبيل التقديم

دشنت مكتبة الإسكندرية الجديدة برنامجاً يسمى "الباحث المقيم" في عام 2006، الذي تدعو إليه المختصين في مجال التراث والمخطوطات للإقامة في مكتبة الإسكندرية ولقاء الباحثين والمهتمين بالتخصص ذاته. وقد كلفت من قبل قسم الوثائق والمكتبات والمعلومات بجامعة القاهرة لحضور مجموعة حلقات من هذا البرنامج في الفترة من 20-27 مايو 2007، وبحضور الدكتور أحمد شوقي بنبين (كباحث مقيم) والذي يعمل مديراً للخزانة الحسنية بالمغرب.

ويأتي البرنامج إحياء لإحدى مراسم مكتبة الإسكندرية القديمة -ندعو الله أن تستمد المكتبة الجديدة دائماً من المكتبة القديمة كل شئ نافع- حيث حرص البطالمة الذين أنشئوا المكتبة على أن يستقدموا لها العلماء من أرجاء العالم؛ ليكنوا فيها ويثروا الحياة العلمية بها. ومن ثم تبنى مركز ومتحف المخطوطات بمكتبة الإسكندرية الجديدة هذا البرنامج الرامي إلى استضافة كبار الباحثين التراثيين في العالم. ومنذ العام 2006 قامت المكتبة بدعوة نخبة من كبار المشتغلين بالتراث في العالم مثل أحمد شوقي بنبين (المغرب) ، ورشدي راشد (فرنسا) ، ورمضان ششن (تركيا) ، وعبد الحميد صبرة (أمريكا) وغيرهم.

ونعود للحديث عن المحاضرات التي ألقاها د. أحمد شوقي بنبين، كانت أربع محاضرات. المحاضرة الأولى كانت حول الكتاب العربي المخطوط من النشأة حتى ظهور الطباعة وتناول فيها الباحث محاور ثلاث تتعلق بظروف نشأة المخطوط العربي وعوامل تطوره في الشرق والغرب الإسلامي، وكذلك التطور الذي أحدثته ظاهرة الطباعة في الكتاب العربي. أما المحاضرة الثانية فكانت حول علم المخطوط العربي أو الكوديكولوجيا العربية كما يحب أن يسميها د. بنبين ولن أستطرد في هذا العنصر لأن لن ا فيه رأى متواضع سيأتي بعد ذلك.

أما المحاضرة الثالثة فموضوعها كان أصول علم التحقيق العلمي عند العرب منذ نشأته في الثقافة اليونانية إلى أن أصبح علماً قائماً بذاته له أصوله وقواعده. أما المحاضرة الرابعة والأخيرة فكانت حول معجم مصطلحات علم المخطوط العربي، وتناول فيها الباحث قضية المصطلح في المخطوط العربي، في محاولة منه لتحديد مفاهيم الألفاظ المتداولة في التراث العربي المخطوط قديماً وحديثاً، وتلك قضية شائكة ولكنها شيقة حين يتفاعل معها باحث مثل الدكتور شوقي بنين والذي أصدر في عام 2006 معجماً يحمل بين طياته معظم المصطلحات المتداولة في العمل التراثي.

ما سبق كان مقدمة تقريرية عن البرنامج والحلقات التي حضرتها، ولكني أراها ضرورية قبل أن أخوض في قضية علمية شائكة لأشارك فيها برأيي المتواضع كطالب علم يجتهد فيصيب أحياناً ويخطئ أحياناً، ولكن يحاول وسيظل يحاول في رفع قيمة الأمة الإسلامية بالبحث والدرس حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

الكوديكولوجيا العربية

يعرف أحمد شوقي بنين الكوديكولوجيا العربية بأنها "علم يبحث في خوارج النص كالحواشي والشروح والتصحيحات والتعليقات والالحق والتملكات والوقفيات والإجازات ثم العناصر المادية المتعلقة بصناعة المخطوط من توريق وترقيم وتجليد وتجارة وما يلي ذلك من تكشيف وفهرسة."

ومن ثم فهي علم حديث يتناول المخطوط باعتباره قطعة مادية فيدرس المخطوط من حيث صناعتها وتركيبها وتاريخها ومصدرها وتملكها، ويطلقون عليه في بعض التعريفات الغربية معمارية الكتب (The archaeology of the Book).

ويرى علماء اللغة الغربيون (الفيلولوجيون) أن الكوديكولوجيا من العلوم المساعدة التي يستعينون بها في ممارسة عملية نقد أو تحقيق النصوص، بينما يرى الكوديكولوجيون أنفسهم بأنها علم قائم بذاته وليس وسيلة لتحقيق غاية أخرى. وهذا أن دل فإنما يدل على أن الكوديكولوجيا مازال عليها اختلاف بين أهل التخصص الأمر الذي يجعلنا لا بد وأن نكون حريصين، فمن غير المقبول أن يكون العلم أو التخصص في بلاده لم يستقر بعد وتأخذه نحن العرب كنظرية أصبح مسلم بها ولا يحق لأحد الاختلاف فيها.

أما إذا فرضنا بأن الكوديكولوجيا أصبحت علماً قائماً بذاته فما هو الغرض والهدف من هذا العلم إذاً؟؟ (لابد من أن يسد فجوة في منظومة العلوم أو التخصصات)

وعرض الدكتور شوقي بنبين إلى عناصر علم الكوديكولوجيا والتي حصرها في أربعة عناصر وهي: الفهرسة والوقيات وقضية التعقيد ومشكلة النسخة والنسخ. ولن يتسع المجال للحديث عن كل هذه العناصر ولكن سنكتفي بالتعليق على أول هذه العناصر وهي الفهرسة.

ويرى الدكتور بنبين أن الفهرسة "لم تتحدد حتى الآن في أذهان المختصين الصورة النهائية لها رغم المحاولات الكثيرة التي عملت على تقنينها ورسم مناهجها وضبط قواعدها، فإن فهارس المخطوطات تخلق من أي أسس موحدة وتختلف مناهجها باختلاف البلدان والأزمان."

وعلى ذلك أعقب قائلاً إن عملية الفهرسة قديمة بقدم مصادر المعلومات، وليس المجال هنا للتأريخ للفهرسة وقواعدها بل يكفي أن أذكر أن الفهرسة مستقرة من ناحية المفهوم والمصطلح، فبرغم تعدد التعريفات للفهرسة إلا أنها تدور كلها في فلك واحد وهو وصف مصدر المعلومات (كتب، دوريات، مخطوطات... الخ).

أما ما ذكره د. بنبين من عدم الاستقرار فهو فعلاً عدم استقرار ولكن في التطبيق والممارسة وتلك آفة بلينا بها نحن العرب، فعملية الفهرسة في الغرب تخضع لقواعد ثابتة خاصة بكل مصادر المعلومات وتخضع لتطورات مستمرة لمواكبة الوقت.

نقطة أخرى أراها موضع خلاف وهي عناصر البيانات المكونة لعمل المفهرس والكوديكولوجي، فالمفهرس لديه عناصر معيارية واضحة ومحدد لا مجال فيها للتخمين أو التأليف فهو ينقل من المخطوط ليحدد هويته، كما أن هناك مجموعة من العناصر لوصف المخطوط مادياً، وهذا الأمر ليس سهلاً أو روتينياً بل يحتاج إلى ثقافة وعلم لاسيما مع المخطوطات العربية؛ الأمر يختلف مع الكوديكولوجي الذي يهتم بالجوانب المادية غير الموصوفة للمخطوط كتحميل المداد لتحديد عمره وكذلك مادة الكتابة كالورق مثلاً وكل هذا يحتاج إلى أدوات ومعامل أظن أن الكيميائيون و/أو الأثريون يستطيعون القيام بها.

ولا يعتبر هذا الكلام تقليداً من دور علوم الكيمياء والآثار في فهرسة وتحقيق المخطوطات بل القضية هي متى نحتاج إلى عملهم ولأى سبب، فالتزوير مثلاً أحد السمات الشائعة في التراث ومن ثم لا بد لنا من استخدام بعض المختبرات والنظريات العلمية لاكتشاف التزوير إذا كان هناك داعي لذلك.

نقطة أخيرة ذكرها الدكتور شوقي في حديثه عن الكوديكولوجيا العربية هي من الضروري أن نفرق بين وظيفة الكوديكولوجي والمفهرس، "آنذاك نستطيع أن نقترح تحديداً لمفهوم الفهرسة". واتساءل ما الذي يحتاج إلى تحديد للمفهوم الفهرسة أم الكوديكولوجيا؟، وأيهما أقدم من الثاني؟، وأيهما مازال محل خلاف؟ أظن أن الإجابة على هذه التساؤلات تفي بالغرض وتوضح المقصود.

وفي الختام أدعو المتخصصين في علم الكوديكولوجيا أن يجتمعوا على كلمة سواء تبين حدود هذا التخصص ومن المستفيد منه المفهرس أولاً ثم المحقق أم المحقق مباشرة أم أنهم هم أنفسهم (الكوديكولوجيين) المستفيدين الوحيدين من هذه الدراسات. ثم بعد ذلك يمكن أن يلتقي كل المتخصصين في التخصصات الثلاثة (التحقيق والفهرسة والكوديكولوجيا) لوضع الخطوط الفاصلة لعمل كل منهم.

وفي ختام هذا العرض أقترح عدة تساؤلات أود أن تؤخذ في الاعتبار عند الحديث عن الكوديكولوجيا العربية؛ من سيقوم بهذه الوظيفة والمهمة وما هي الخبرات المطلوبة؟ ما هي القواعد المتبعة في فهرسة المخطوط من هذا المنظور وما الفرق بينها وبين الفهرسة التقليدية؟

- ما هي الأدوات التي ينبغي أن يستخدمها الكوديكولوجي؟
- كم من الوقت يمكن أن يستغرقه الكوديكولوجي في التعريف بالمخطوط؟
- ما هي النتائج الأخيرة التي يمكن أن يتوصل إليها الكوديكولوجي وإلى من ستوجه للاستفادة منها؟